جامعة غرداية
كلية الحقوق والعلوم السياسية

المشاركة في الملتقى الوطني حول: تطبيقات القانون الدولي الإنساني (الثورة الجزائرية أنموذجا، دراسة قانونية) يومي 05 و06 مارس 2019

عنوان المداخلة

دور الأمير عبد القادر الجزائري في إرساء مبادئ القانون الدولي الإنساني.

من إعداد :

د . فاطمة الزهراء غريبي - أستاذ محاضر(أ) كلية الحقوق والعلوم السياسية قسم الحقوق - جامعة عمار ثليجي - الاغواط.

يحي غريبي - طالب دكتوراه – تخصص" حقوق الإنسان والحريات " قسم الحقوق - جامعة عمار ثليجي - الاغواط.

بطاقة المشاركة للباحث الأول:

الاسم و اللقب : فاطمة الزهراء غريـــبـــــــي

الوظيفة : : أستاذة محـاضرة ونائب عميد كلية الحقوق والعلوم السياسية المكلفة بالبحث العلمي وبما بعد التدرج والعلاقات الخارجية .

الدرجة العلمية : أستاذ محـاضر "أ"

مؤسسة العمل : جامعة عمار ثليجي الاغواط

الهاتف : 0777 81 05 40

عنوان البريد الالكتروني:Fatimazahraa_ghribi@yahoo.com

عنوان محور المشاركة: إسهامات الأمير عبد القادر الجزائري في تطوير قواعد القانون الدولي الإنساني.
عنوان المداخلة : دور الأمير عبد القادر الجزائري في إرساء مبادئ القانون الدولي الإنساني.

بطاقة المشاركة للباحث الثاني:
الاسم و اللقب : يحي غريــبـــــــــي
الوظيفة : طالب دكتوراه
التخصص : حقوق الإنسان والحريات
المؤسسة : جامعة عمار ثليجي الاغواط
الهاتف : 0669 55 87 12
عنوان البريد الالكتروني : yahia_ghribi@hotmail.fr
عنوان محور المشاركة: إسهامات الأمير عبد القادر الجزائري في تطوير قواعد القانون الدولي الإنساني.
عنوان المداخلة : دور الأمير عبد القادر الجزائري في إرساء مبادئ القانون الدولي الإنساني.

الدكتورة: غريبـــــــي فاطمة الزهراء
أستاذة محـاضرة "أ"
قسم الحقوق جامعة "عمار ثليجي" الأغواط

طالب دكتوراه: غريـبـــــي يحـــــي
تخصص: "حقوق الإنسان والحريات"
قسم الحقوق" جامعة الأغواط

الملتقى الوطني حول: تطبيقات القانون الدولي الإنساني (الثورة الجزائرية أنموذجا ، دراسة قانونية) يومي 05 و06 مارس 2019
مداخلة ضمن المحور الرابع : إسهامات الأمير عبد القادر الجزائري في تطوير قواعد القانون الدولي الإنساني.

عنوان المداخلة : دور الأمير عبد القادر الجزائري في إرساء مبادئ القانون الدولي الإنساني.

الملخص :
يعدّ الأمير عبد القادر الجزائري أول الداعين لتقنين مبادئ القانون الدولي الإنساني، حيث كان رائدا من أبرز رواده بل ومؤسسا له، فالحقبة التي عبّر عنها تشرح وبكل دقة جوهر عمل اللجنة الدولية للصليب الأحمر، إذ مفادها أنه "عندما يكون الشخص تحت سطوة عدوّه تكون الغلبة للأخوة الإنسانية"، وعليه فإنه وفي خضم مكافحة الاستعمار الفرنسي أوجب الأمير ضرورة معاملة الأسرى معاملة إنسانية، لا معاملة بالمثل حيث فجور المستعمر الغاشم، التي تمثل أحد المبادئ الأساسية للقانون الدولي الإنساني، كيف لا وقد أسس لقواعد تكفل احترام آدمية الإنسان مهما كان انتماؤه العرقي والديني، وهو ما يتوافق مع إنسانية الإسلام ورحمته، فالأمير عبد القادر أول من وضع أصول القانون الدولي الإنساني، وسياسته في هذا الشأن شكلت مصدر إلهام لنظم قانون الحرب بإسباغ الحماية للمدنيين وأسرى الحرب، في النزاعات المسلحة الدولية وغير الدولية، إن رجلا عظيما مثل الأمير عبد القادر، استطاع أن يوجه مشاعر الإنسانية كلها من حالات مختلفة إلى حالة مشتركة، تحملنا على البحث في سيرته ومساراته، التي جعلت منه قائدا للثورة وداعيا للإنسانية رغم العدوان، مشرعا للدولة وللأوطان ومنتصرا للإنسان.

الكلمات المفتاحية :
الأمير عبد القادر الجزائري - القانون الدولي الإنساني.

Abstract:
L'Émir Abd el Kader the Algerian is the first advocate of the principles of international humanitarian law, where he was a pioneer and founder of the international humanitarian law. His statement accurately explains the essence of the ICRC's work: "When a person is under the influence of his enemy, "In the midst of the fight against French colonialism, the L'Émir demanded the treatment of prisoners humanely, which is one of the basic principles of international humanitarian law, has established rules to ensure respect for human humanity regardless of its ethnic and religious affiliation, Which is consistent with the humanity and mercy of Islam. L'Émir Abd el Kader was the first to establish the principles of

international humanitarian law. His policy in this regard inspired law-of-war regimes to protect civilians and prisoners of war in international and non-international armed conflicts. He managed to direct the feelings of all humanity from different situations to a common situation, which led us to research his biography and paths, which made him a leader of the revolution and a call to humanity despite the aggression, a legislator of the state and the homeland and a victor of humanity.

Key words:
L'Émir Abd el Kader the Algerian - International Humanitarian Law

مقدمة :

إن الجزائر في صراعها التاريخي ضد المحتل الفرنسي قامت بثورات عديدة، بدءا بما سمي بمقاومة الأمير عبد القادر وصولا إلى ثورة التحرير الوطنية، وبالرجوع إلى بمقاومة الأمير عبد القادر نجد أن مرجعه يعود إلى الدين الإسلامي، لأن الفقه الإسلامي يعرف القانون الدولي الإنساني على أنه قانون السلم والحرب معا أي القانون الذي يطبق في زمن السلم وزمن الحرب، والمقصود بهذا القانون ما تنطوي عليه أحكام الشريعة الإسلامية من قواعد فيما يتعلق بمعاملة المسلم للعدو في النزاعات المسلحة وهذه القواعد موجودة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وما صدر عن أهل العلم وروح التشريع الإسلامي و قواعده العامة[1].

كيف لا ينص ذلك القانون الدولي الإسلامي الإنساني على المبادئ الإنسانية التي تقتضي ألا يتجاوز المسلمون أثناء النزاعات المسلحة والحروب الطاحنة لأجل البقاء على النفس أو تبليغ الدعوة الضرورة العسكرية المسموح بها في القتال، وأن يعاملوا خصومهم أيا كان دينهم معاملة إنسانية لأن الإنسانية تعلي من قدر الإنسان وتمنع كل ما يؤدي إلى أهانته وانتهاك حرماته أو الحد من حريته وعقيدته، لذلك فقد تغذت مقاومة الأمير عبد القادر النابعة من ذلك القانون السماوي ومن آداب الحرب في الإسلام، لذلك كانت المقاومة الجزائرية شكلا ومضمونا فلسفة ثورية جهادية نبيلة، لذلك كان الهدف الأساسي للمقامة هو تحقيق الاستقلال الوطني وإقامة الدولة الجزائرية ذات السيادة ضمن إطار المبادئ الإسلامية السامية[2].

ذلك أن مصادر سلوك الحرب كانت منذ بداية المقاومة مبينة على قواعد وأحكام القانون الدولي الإسلامي الإنساني، وكان سلوك قادتها المنخرطين في القتال قائما على احترام القيم الإسلامية ومنه الإنسانية، وعليه واجب الالتزام باحترامها في كفاحهم المسلح، وكذا الاجتهاد في

[1] أنظر : د . عمر سعد الله، القانون الدولي الإنساني والاحتلال الفرنسي للجزائر ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص226.

[2] أنظر : د. حسين سهيل الفتلاوي، القانون الدولي العام في وقت السلم، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2010، ص637.

توفير المأوى لأسرى الحرب والمحافظة على شرفهم وكرامتهم، ورفض تعذيب الأسرى والجرحى والمرضى والعاجزين عن الدفاع عن أنفسهم[3].

لقد كان الأمير عبد القادر يعتبر رجل الإنسانية ، حيث يحترم الإنسان مهما كانت ديانته وثقافته وجذوره وعرقه ولونه. فابتداء من سنة 1837م قام الأمير الجزائري بتحديد مفهوم حقوق المستضعفين والأسرى وجرحى الحرب والمعطوبين والسجناء وقام بتقنين هذه الحقوق التي كانت مجهولة تماما آنذاك، فالقائد عبد القادر قام بصياغة مرسوم يمنع على جنوده المساس بكرامة الأسرى وبسلامتهم الجسدية كما يحظر تعذيب الأسرى وقتلهم، كما شهد التاريخ للأمير عبد القادر مخاطرته بحياته وموقفه الشجاع عندما تدخل سنة 1860م في دمشق ليضع حدا للصراعات الطائفية التي وقعت بين المسلمين والمسيحيين حيث أسهم في إنقاذ 12000 مسيحي[4].

فالتاريخ سجل أن الأمير عبد القادر هو أول مؤسس لمبادئ القانون الدولي الإنساني، من خلال احترامه لحقوق المدنيين أثناء الحروب، ومعاملته الإنسانية لأسرى الحرب، ودفاعه عن حقوق الأقليات، إضافة إلى معاملاته الدبلوماسية مع الحكام الأوروبيين، ورفضه مبدأ الحرب في العلاقات بين الدول، حيث اعتبر الأمير أن حماية حقوق الإنسان مسؤولية كل قائد، مضيفة أن هذه المبادئ السامية التي كان الأمير يعتمدها استقاها من الدين الإسلامي والثقافة الجزائرية المعتدلة والسمحة.[5]

ومما سبق سنبحث في هذه المداخلة عن أثر الأمير عبد القادر الريادي في إرساء قواعد القانون الدولي الإنساني، وعليه نطرح التساؤل التالي: فيما يتمثل الدور الريادي للأمير عبد القادر الجزائري وإسهاماته في إرساء قواعد القانون الدولي الإنساني؟ وللإجابة على التساؤل محل الدراسة قسمنا البحث إلى المحوريين التاليين، المحور الأول: نبذة عن سيرة الأمير عبد القادر الجزائري، أما المحور الثاني نسلط الضوء فيه على ريادة الأمير عبد القادر للقانون الدولي الإنساني.

المبحث الأول : نبذة عن سيرة الأمير عبد القادر الجزائري :

تجاوز **الأمير عبد القادر** بن محي الدين الشريف بما كان يتمتع به من حس استراتيجي كقائد عسكري كبير، ورجل دولة محنك وبطل وطني للمقاومة الجزائرية ومفكر نبيل وشاعر ملهم حدود النظرة المحلية الوطنية والقومية، حيث تمثل شخصيته الفذة الأخر من خلال بنائه لصورة العربي الايجابية[6]، فاعترف له الجميع بدوره البارز بوضع أسس القانون الدولي الإنساني منذ العام 1837م ، وهذا حتى قبل ظهور أفكار **هنري دونان** مؤسس حركة الصليب الأحمر، بل حتى قبل إبرام معاهدة جنيف التي لم تكتمل إلا في العم 1864م، حيث أعرب رئيس اللجنة الدولية للصليب الأحمر

---

[3] أنظر : د. أحمد بشارة موسى، احترام جبهة التحرير الوطني للقانون الدولي الإنساني أثناء حرب التحرير الوطني، الملتقى الدولي الخامس حول حرب التحرير الجزائرية والقانون الدولي الإنساني ، المنعقد يومي 10/09/نوفمبر2010، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، الجزائر، ص 04.

[4] محمد قيراط، مداخلة في ندوة بعنوان: الأمير عبد القادر والتسامح والتعايش السلمي،2015/07/11، الجزائر.
أنظر كذلك للمزيد من المعلومات : حسينة حماميد، الأمير عبد القادر منشد الحوار بين الديانات ، الدور الريادي في بلاد الشام، مجلة حوليات جامعة الجزائر، مجلد 18، العدد01، من ص45 إلى55

[5] زهور بوطالب، ندوة بعنوان: الأمير عبد القادر أول مؤسس للقانون الدولي الإنساني،2015/01/07، الجزائر.

[6] عبد القادر شرشار، شخصية الأمير عبد القادر من منظور الأخر (ترجمة كتاب عبد القادر لقوستاف دوقا أنموذجا)، مجلة إنسانيان، عددان 19-20- جانفي – جوان 2003، ص19

"**جاكوب كيلينبيرغر**" أنه من الخطأ بمكان اعتبار أن بداية القانون الدولي الإنساني بدأت مع معاهدات جنيف، إذ بين أن روادا أسهموا في هذا المجال قبل **هنري دونان** من بينهم الأمير عبد القادر الذي قال عنها أن بعضا من القوانين التي سطرها الأمير لم تفقد من قيمتها حتى اليوم.

كما نوه الرئيس السابق للجنة السيد" **بيتر ماورر**" إلى العلاقة التاريخية لهذه الأخيرة بالجزائر مشيرا إلى أنها تعود إلى سنة 1853م حين اختار"**هنري دونان**" مؤسس الصليب الأحمر، مدينة سطيف مقرا ومستقرا له، كما نوه بانضمام الجزائر لاتفاقيات جنيف واصفا إياه بالحدث التاريخي البارز وصيغة رسمية تجسد امتثال القادة الجزائريين آنذاك لقواعد القانون الدولي الإنساني"[7]، ومما سبق نحاول تسليط الضوء على بعض من سيرة الأمير عبد القادر الجزائري من خلال مولده ونشأته، وكذا مقاومته للاحتلال.

المطلب الأول : مولده ونشأته

من خلال هذا المطلب نتعرف على مقتطفات من سيرة الأمير عبد القادر، نسبه ومولده (فرع أول)، وكذا نشأته (فرع ثان).

الفرع الأول : نسبه ومولده

أولا : نسبه :

هو عبد القادر بن محي الدين ، بن مصطفى بن محمد بن المختار بن عبد القادر بن احمد بن محمد بن عبد القوي بن خالد بن يوسف بن احمد بن شعبان بن محمد بن مسعود بن طاوس بن يعقوب بن عبد القوي بن احمد بن محمد بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجة علي بن أبي طالب ابن عم النبي عليه أفضل الصلاة والسلام[8].

ثانيا : مولده :

ولد الأمير عبد القادر يوم 23 رجب هـ الموافق لـ 20 سبتمبر 1807م في بلدة القيطنة بالقرب من مدينة معسكر، والده محي الدين الذي ولد عام 1772م ، درس على يد أبيه مصطفى وورث عنه مشيخة الزاوية القادرية، حيث اشتهر والده بسداد الرأي وغزارة العلم، وأمه السيدة لالا الزهرة بنت عبد القادر بن خدة وهي تنحدر من بيت علم وتقوى، من أولاد سيدي عمر بن دوحة[9].

الفرع الثاني : نشأته

تلقى دراسته في مسقط رأسه تحت إشراف والده ، فأخذ عنه القراءة والكتابة وختم القرآن الكريم قبل سن الحادي عشر ، وأصبح فارسا يشار إليه ، وبرع في تلقى العلوم التاريخية والفلسفية والفقهية والشرعية، وكلف بتحفيظ القران وإلقاء الدروس ، سافر عام 1821م إلى مدينة آرزيو الساحلية لإتمام دراسته على يد القاضي الشيخ احمد بن الطاهر البطيوي، ليتنقل بعدها إلى مدينة وهران بمدرسة الفقيه احمد بن خوجة صاحب رائعة در الأعيان في أخيار وهران ، وتوسع في

---

[7] بيتر ماورر، رئيس اللجنة الدولية للصليب الأحمر، مداخلة بعنوان: الأمير عبد القادر الجزائري أول الداعين لتقنين القانون الدولي الإنساني، الملتقى الدولي حول "الأمير عبد القادر والقانون الدولي الإنساني" المنعقد يومي 28- 2013/05/30، الجزائر.

[8] نور الدين بودربالة ، عابد سلطانة ، عائلة الأمير عبد القادر في مراسلات القنصل دوما ، مجلة متون ، مجلد 09 العدد 02، ص99.

[9] للمزيد من المعلومات راجع : المرجع السابق ، ص93-105

المعارف اللغوية والفقهية والنحو والبيان والفلسفة والمنطق ، وصقل ملكاته ، الأدبية والشعرية واجتهد في حضور حلقات العلم لعلماء وهران مثل الشيخ مصطفى الهاشمي والشيخ بن نقريد، ليعود بعدها لمسقط رأسه بعد عامين من تلقى وطلب العلم ، حيث تزوج بابنة عمه السيدة خيرة بنت علي بوطالب عام 1823م ليستقر في القيطنة معلما[10].

استقر في الأخير بدمشق ، ليستقبله الدمشقيون بترحاب كبير وكان على رأسهم الوالي محمود نديم، ، والقائد العسكري عزت باشا ، وعدد كبير من أعيان المنطقة، في بلدة " تدمر" إلى درجة أنه قيل لم يدخل دمشق عربي رحب به هذا الترحيب منذ صلاح الدين الأيوبي، بل وكانت داره بدمشق تعرف بدار السيد[11].

المطلب الثاني : مقاومته للاحتلال

جمع الأمير عبد القادر بين القلم والسيف ، فهو الأديب والشاعر والصوفي والمحارب الشجاع ، خلف والده في الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي منذ سنة 1831م.

فبعد احتلال وهران، كانت مشاركة الأمير عبد القادر مع أبيه محي الدين في العمليات القتالية ضد الجيش الفرنسي الذي بلغ تعداده 1500 مقاتل ، حيث أظهر الأمير تحد كبير للجنرال الفرنسي ، للجلاء من المدينة أو الخروج للقتال ، ليشن الهجوم مع والده في 03 مايو 1832م على القوات الفرنسية التي كانت تعسكر في وهران ، وفي اليوم التالي اشترك مع والده في مهاجمة الحامية الفرنسية، حصن سانت فيليب ، الموجودة في وهران[12].

دفع الاحتلال الفرنسي لمدينة وهران بالأهالي والعلماء للمبايعة محي الدين إلا أنه اعتذر لكبر سنه ، مما دفع الأهالي والقبائل في مبايعة ابنه عبد القادر ، وكان ذلك صباح يوم الاثنين 13 رجب 1248هـ الموافق لـ27 نوفمبر 1832م، حيث اقترحوا عليه أن يكون سلطان لكنه اختار لقب الأمير ، أما نص البيعة فقد حرره عمه علي أبي طالب ، حيث كان كالتالي " وبعد البيعة للإمام المعظم والأمير الجليل بن أخينا السيد عبد القادر بن محي الدين أيد الله بهما الدين وأعانهما على القيام بأمور أهله ، بايعناه على السمع والطاعة وامتثال الأمر ، وقدمنا نفسه على أنفسنا وحقه على حقوقنا[13].

الفرع الأول : احترام الأمير لآداب الحرب

لا ريب أن الأمير عبد القادر قد اهتدى بآداب الحرب في الإسلام ، فقد نهى عن تعذيب أي إنسان أو المعاملة القاسية والمحطة بالكرامة الإنسانية ، وحرم قتل الأطفال والنساء وكبار السن والرهبان لعدم اشتراكهم في القتال، فقد تساعد تأملات واستنتاجات هذا الجندي العظيم ، هذا المسلم

---

[10] علي محمد الصلابي ، الأمير عبد القادر قائد رباني ومجاهد إسلامي، الطبعة الأولى ، دار العزة والكرامة للكتاب ، 2015، ص 105

[11] صادق دهاش ، الوحدة الوطنية السياسية والعسكرية لدولة الأمير عبد القادر الجزائري، مجلة البحوث والدراسات العلمية ، مجلد 06 ، عدد02، ص102

[12] عمر سعد الله ، القانون الدولي الإنساني والاحتلال الفرنسي للجزائر، مرجع سابق ، ص 68

[13] شارلز هنري تشرشل ، حياة الأمير عبد القادر ، ترجمة أبو القاسم سعد الله ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2009، ص86.

المتدين ، والمفكر العميق[14]، على إظهار إنسانيته، يظهر جليا التزام الأمير بتلك الآداب في سياسته أثناء الحرب لكونها تعد من القواعد الأخلاقية التي على كل طرف في النزاع احترامها والعمل بها من قبل جنوده ، من أجل حصانة غير المقاتلين وتحديد الضمانات اللازمة للحد من آثار النزاعات المسلحة والعمليات الحربية بالخصوص على الأشخاص الذين لا يشاركون في القتال وأصبحوا غير قادرين على المشاركة فيه، وحماية الممتلكات التي لا تشكل أهدافا عسكرية ، وتقييد الأطراف المتحاربة باستخدام وسائل وأساليب معينة في القتال.

كما استقى الأمير معاملته الإنسانية أثناء النزاع المسلح من مبادئ القانون الدولي الإنساني في الإسلام ، التي تواتر العمل بها أثناء الحروب فطبق تلك الأعراف والقواعد للتخفيف من آلام المصابين من عسكريين أو مدنيين ، فمن مقتضيات الإنسانية عدم استهداف من لا يشاركون في القتال واستند الأمير في تطبيقه لهذا المبدأ إلى الآية الكريمة : " وقاتلو في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين[15] " فالقتال ينحصر على فئة المقاتلين ، فالعرف يقضي بعدم قتال من لا يقاتل ، فإذا قاتلت المرأة استبيح دمها، وكذلك الشأن في غيرها[16].

بالإضافة إلى عدم مصادرة حقوق الأشخاص المدنيين، فهي قواعد عبرت عنها سلوكيات الجيوش الإسلامية على امتداد التاريخ الإسلامي بالنسبة للموتى والأسرى والأئمة والقضاة والنساء والأطفال والشيوخ .

كما نهى الأمير عن قتال الضعفاء وبخاصة الأطفال والنساء بمجرد إلقائهن لأسلحتهن ، فقد كن يتمتعن بالحماية التي أقرها الإسلام لهن ، لما جاء فيما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من انه نهى عن قتل النساء والصبيان في دار الحرب، وأضاف الإمام مالك والإمام أبو حنيفة، الأعمى والمعتوه والمقعد وأصحاب الصوامع ، ويحمي هذا المبدأ في الشريعة الإسلامية فئات أخرى من الضعفاء، جمعهم الإمام الاوزاعي في الحارث والزراع و الشيخ الكبير والمجنون و الراهب والنساء.

الفرع الثاني : أنسنة الحرب :

بالرغم من خوض الأمير لأكثر من 40 معركة حربية أمام جيش الاستعمار الفرنسي ، الذي كان فيها محاربا مثاليا ومفاوضا بارعا، إلا أنه في خضم المعارك والاقتتال بين جنوده وقوات العدو، كانت الغلبة للأخوة الإنسانية ، حيث أوجب ضرورة المعاملة الإنسانية ، وتبني تلك القواعد التي تقضي بعدم الاستخدام المفرط للقوة، وبقدر الذي تفرضه الضرورة الحربية، وحرصا من الأمير على تطبيق هذه القاعدة التي تحتل موقعا بارزا في مواثيق القانون الدولي الإنساني بداية من ديباجة إعلان سان بطرسبرغ التي تشير إلى ضرورات الحرب التي يجب أن تتوقف أمام مقتضيات الإنسانية وتؤكد الفقرة الثانية من ديباجة لاهاي الرابعة لسنة 1907م الخاصة بقوانين الحرب البرية وأعرافها ، كما أشارت لها الفقرة الخامسة من الديباجة نفسها التي نصت على الحد من الآلام الحرب حسب ما تسمح به الضرورات العسكرية وعبرت عن نفس القاعدة اتفاقيات جنيف

---

[14] **Azan Paul ,** L'Émir Abd el Kader 1808 - 1883. Du Fanatisme Musulman au Patriotisme Francais ,Edité par Paris, Hachette. (1925)

[15] سورة الإسراء الآية 70

[16] انظر : شارلز هنري تشرشل ، حياة الأمير عبد القادر ، مرجع سابق ، ص86.

وبروتوكولها الإضافي الأول بخصوص مواد محددة ورد فيها " الضرورات الحربية" أو ما يراد فيها مثل المقتضيات العسكرية الحتمية أو الضرورات الحتمية العسكرية "[17].

بالإضافة إلى التمييز بين المقاتلين والمدنيين ، ومعاملة جميع الأسرى معاملة إنسانية ، المعبر عنها اليوم في البروتوكول الإضافي الأول لعام 1977م، الذي نص في مادته 48 على أن تعمل أطراف النزاع على التمييز بين السكان المدنيين والمقاتلين وبين الأعيان المدنية والأهداف العسكرية ، ومن ثم توجه عملياتها ضد الأهداف العسكرية دون غيرها.

المبحث الثاني : الأمير عبد القادر رائدا للقانون الدولي الإنساني

يعتبر الأمير عبد القادر رائدا في مجال تقنين قواعد القانون الدولي الإنساني"، قبل قانون "ليبر" واتفاقيات جنيف، حيث أصبح قانون" ليبر" الموجه للجيوش الشمالية خلال الحرب الانفصالية الأمريكية ساري المفعول سنة 1863م بينما تمت المصادقة سنة 1864 م على الاتفاقية الأولى لجنيف التي سبقت تلك الصادرة سنة 1949، "فالكثير من الناس يجهلون أن المحاولة الأولى لتقنين قواعد القانون الدولي الإنساني تعود إلى ما قبل 1863 ولم يكن ذلك لا في أمريكا ولا في أوروبا ولكن في الجزائر سنة 1843 عندما أصدر الأمير عبد القادر مرسوما ينص على جائزة مالية لكل من يحضر سجينا فرنسيا حيا للسلطات الجزائرية"، والأمير عبد القادر "قدم بشكل مسبق" وصفا وفيا لما يمثله العمل الإنساني اليوم أي الحفاظ على حياة البشر وضمان رفاهية أكبر للمعتقلين وضمان احترام حقوقهم"[18].

المطلب الأول: احترام حقوق الضحايا

الفرع الأول : حماية المدنيين :

امتدت حماية الأمير للمدنيين ، فحرص على تقديم الحماية العامة لهؤلاء ضد الأخطار الناجمة عن العمليات العسكرية الدفاعية أو الهجومية، وحمايتهم من أن يكونوا محل هجوم ، ومن الهجمات العشوائية التي تصيب الأهداف العسكرية الفرنسية.

كما منع الأمير قتل وإيذاء الضعفاء في الحرب، كما حرص على حماية النساء اللاتي يقعن في الأسر ، بالمحافظة على شرفها، حيث انه كان شديد الإباء والقلق من رؤيته للأسيرات ، وكان يتصرف معهم وفق قواعد القانون الدولي الإسلامي ، وكان النبي صل الله عليه وسلم إذا بعث أميراً على جيش أوصاه ومن معه من المسلمين بقوله: «لا تغلوا ولا تقدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً ولا امرأة ولا شيخاً».

الفرع الثاني : المعاملة الإنسانية :

حاول الأمير عبد القادر وممثلوه في مختلف المناطق التابعة له ، بمعاملة الأسرى من جيش الاحتلال معاملة إنسانية ، وكان يوصي لهم بالطعام والكساء ، بالإضافة إلى إعطاءه الأمان للجنود

---

[17] جون ماري هنكرتس ، دراسة حول القانون الدولي الإنساني العرفي ، إسهام في فهم واحترام حكم القانون في النزاع المسلح ، اللجنة الدولية للصليب الأحمر ، القاهرة ، 2005، ص20

[18] زهور بوطالب، الأمينة العامة لمؤسسة الأمير عبد القادر، مداخلة بعنوان: الأمير عبد القادر "رائد" في مجال تقنين قواعد القانون الدولي الإنساني، الملتقى الدولي حول "الأمير عبد القادر والقانون الدولي الإنساني" المنعقد يومي 28- 2013/05/30، الجزائر.

الفرنسيين الذين يستأجرونه لأنه كان يستحضر قول الله تعالى : وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ "[19]

كما حظر الأمير عبد القادر التعذيب بشتى أشكاله ، كما حظر تعذيب الجرحى الذين يسقطون في ميدان القتال، فهو بذلك قد سبق نظامه الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، لعام 1948م بشأن حظر التعذيب التي نصت المادة 05 منه على أن لا يعرض أي إنسان للتعذيب ولا للعقوبات أو المعاملة القاسية او الوحشية أو المحطة بالكرامة الإنسانية، كما اعتبر أن أي شخص تمكن من أسر جندي من العدو ، يكون مسؤولا عن حسن معاملته، وضرورة أن يقدمه إلى أقرب خليفة إليه.

المطلب الثاني: حماية الأسرى

الفرع الأول : المعاملة الإنسانية للأسرى :

إن العناية والعاطفة التي أبداها الأمير عبد القادر ، اتجاه الأسرى ليس لها مثيل في تاريخ الحروب ، ولا ريب أن الأسرى الذين سقطوا في أيدي جنود الأمير كانوا كثيرا ما يتعرضون لإهانة سجانيهم القساة ولاسيما عندما يسقطون في أيدي ساخطة على الفرنسيين ، لكن روح المعاملة الطيبة التي بثها الأمير في جيشه قد حلت محل القسوة رغم أنها عمليا كانت بطيئة وهكذا تقلصت الوحشية وظهرت الرحمة وانتصرت الإنسانية، إن وصفا كهذا لا يحتاج إلى شرح ، فهو يعكس ما كان يتميز به الأمير من روح إنسانية طاهرة[20].

ويذكر المؤرخون أنه لما أقدم الحاج مصطفى التهامي صهر الأمير، على قتل 287 أسيرا فرنسيا في 24 ابريل 1846م، بعدما وصلته معلومات مفادها أن السلطان بعث بقوة لتحريرهم، دون أن مبادلتهم بأسرى المسلمين، وبعودة الأمير من جرجرة تألم كثيرا لمصير الأسرى ، وكتب رسالة إلى الملك الفرنسي لويس فليب يشرح له فيها الظروف التي أحاطت بقتلهم، واتهم فيها ضباط الجيش الفرنسي معتبرا إياهم السبب في ذلك المصير المؤلم، وعرض عليه من جديد فكرة تحقيق تبادل الأسرى لديهم مع الأسرى المسلمين لدى الفرنسيين ، وبالرغم من أنه لم يتلق أي رد ، سارع في إطلاق سراح ما تبقى لديه من أسرى، فهو بذلك أرسى تعاليم الإسلام التي تتجلى في الرحمة والعفو والأخوة الإنسانية.

الفرع الثاني : احترام خصوصيات الأسير

لقد أولى الأمير عبد القادر اهتماما بأسرى الحرب ، ولم يرغمهم على تغيير دينهم وعقيدتهم، كما حاول تلبية حاجاتهم الروحية بكتابته لأسقف مدينة الجزائر بإرسال قسيس إلى معسكره، مبينا له أنه سيعامل باحترام وتبجيل وتكون مهمته الصلاة بالمساجين وماساتهم ويكون واسطة بينهم وبين عائلاتهم ، من أجل الحصول على الثياب أو النقود أو الكتب وغيرها مما يحتاجه الأسرى.

ولأن الأمير كان يستقى سلوكه من الأعراف والمبادئ الإسلامية التي تواتر العمل بها أثناء الحروب المكونة للقانون الدولي الإنساني في الإسلام ، الذي يحرم التعامل مع الأسير بقسوة أو تعريضه للمهانة والذل، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة: «ألا لا يقتل مدبر، ولا يجهز على جريح، ومن أغلق بابه فهو آمن»، ولذلك كان المسلمون في قتالهم لا يتبعون أحداً هارباً من المعركة، ولا يقتلون أسيراً، بل لا يقطعون شجراً، ولا يردمون بئرا ولا يهدمون بيتاً. كما حث الأمير على معاملة الأسير معاملة كريمة لا تهان فيها كرامته ولا تنتهك حرمته، دون

---

[19] سورة التوبة الآية 06

[20] شارلز هنري تشرشل ، حياة الأمير عبد القادر ، مرجع سبق ذكره ، ص261.

اعتبار لاختلاف الدين أو كونه من الأعداء، وعد تلك المعاملة من صفات الأبرار، لقول الله تعالى فيهم: (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً)[21]، ، وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بحسن معاملة الأسرى، فقال: «استوصوا بالأسارى خيراً»، وبهذا الأمر حوَّل الإسلام غريزة الانتقام من العدو الأسير إلى أداة فضل ورحمة، فلم يقتصر على النهي عن تعذيبه أو تجويعه، بل امتد إلى الحث على الإحسان إليه وإكرامه ومساواته بالمسكين واليتيم، وبهذا تتحول إحدى تبعات الحروب، رغم ضراوتها وقسوتها، إلى عبادة يرجو صاحبها رضا الله عز وجل ويصبح بها من الأبرار.

لذلك وقَّع الأمير اتفاقية صلح مع الفرنسيين اقتضته الضرورة **"اتفاقية تافنة"** بتاريخ 30 مايو 1837م بلقب أمير المؤمنين، والجنرال **بيجو** قائد القوات الفرنسية في وهران، وصادق عليها ملك فرنسا **لويس فيليب،** بتاريخ 15 يونيو1973م، واشتملت الاتفاقية 12 بندا حقق الأمير التزامات من الجيش الفرنسي بحصر مواقع الاحتلال في نقاط محددة على الشاطئ وضمان رقعة واسعة لمملكته تمتد فيما عدا مناطق من وهران والجزائر، وتحرير مدينة تلمسان، واستعادة الزمالة[22]، ولأن الأمير يدرك أن الحرب ليست غاية في حد ذاتها، إنما هي سبيل لإحقاق الحق وإزهاق الباطل، لذا وجب التوقف عن القتال إذا توقف العدو عنه، لقول الله تعالى : وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [23]".

خاتمة :

في الختام نخلص أن الأمير عبد القادر الجزائري يعد أول مؤسس لمبادئ القانون الدولي الإنساني، والتي اعتمدتها اتفاقيات جنيف الخاصة بقانون الحروب، والمبادئ التي تنادي بها المنظمات الحكومية وغير الحكومية الخاصة بحماية حقوق الإنسان.

إن الوثائق التاريخية أثبتت أن الأمير عبد القادر تعرض رفقة جيشه إلى "مآس كبيرة ونكبات عظمى لكنه لم يسئ إلى أخلاق الحرب ولم يدنس رمز القضية التي دافع من أجلها، لأنه كان يتصور الحرب بمثابة أداة فرضتها قوى عظمى على شعب مستضعف، "كما تميز بأخلاق شاملة أبرزها الانفتاح والتحاور مع الخصوم في كل ما يخص قضايا السلم وكذا كانت معاملته الخاصة لأسرى الحرب باعتبارهم ضحايا للنظام الاستعماري ، فهذه القيم بلورت معالم "ثقافة قتال متجددة وراقية جعلت من جيش الأمير أداة ضارية ومؤسسة قائمة بذاتها قابلة للتطور عددا وعدة وكفاءة فروح القتال مصدرها عقيدة الدفاع عن الوطن والدين، وأداتها التنظيم الجديد لمفهوم جيش كان يدافع عن وطن وليس عن سلطان ولا عن إيديولوجيا معينة.

وعليه فإن العلاقات بين الدول في العصر الحالي أكثر حاجة إلى التشبع بمبادئ وأفكار الأمير عبد القادر، خاصة ما يشهده العالم من تدهور أمني وانتهاكات خطيرة لحقوق الإنسان وتشويه لصورة الإسلام، وبالتالي فالقانون الدولي الإنساني بات موضوع "الساعة" أكثر من أي وقت مضى بتطور النزاعات المسلحة المعاصرة التي "تمزق العالم بأكلمة وما يصاحبها من

---

[21] سورة الإنسان: الآية 8

[22] عمر سعد الله، القانون الدولي الإنساني والاحتلال الفرنسي للجزائر،مرجع سابق ، ص98.

[23] سورة الأنفال: الآية 61

تطورات لوسائل وأساليب الحرب والتي كشفت جليا التحديات المستمرة التي تواجه تفعيل القانون الدولي الإنساني، وضرورة الالتزام بتنفيذه ونشر أحكامه، ولأجل ذلك نقدم بعض التوصيات مما انتهينا إليه بين ما في البحث من طيّات :

أولا : الدعوة إلى ترقية هذا الملتقى إلى ملتقى دولي بمشاركة اللجنة الدولية للصليب الأحمر، مع ضرورة رد الاعتبار لأحقية الأمير عبد القادر في كونه مؤسسا وأول من وضع أصول وقواعد القانون الدولي الإنساني.

ثانيا: التعريف بالدور الفعال للأمير عبد القادر في إرساءه لقواعد القانون الدولي الإنساني من خلال عقد المؤتمرات والندوات لإبراز مناقبه وما قدمه للإنسانية والقانون الدولي الإنساني.

ثالثا:إدماج مبادئ ومفاهيم القانون الدولي الإنساني ضمن المناهج الدراسية، والتعريف بها ونشرها.

قائمة المراجع :

أولا : الكتب باللغة بالعربية :

(1) جون ماري هنكرتس ، دراسة حول القانون الدولي الإنساني العرفي ، إسهام في فهم واحترام حكم القانون في النزاع المسلح ، اللجنة الدولية للصليب الأحمر ، القاهرة ، 2005.

(2) حسين سهيل الفتلاوي، القانون الدولي العام في وقت السلم، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2010.

(3) علي محمد الصلابي ، الأمير عبد القادر قائد رباني ومجاهد إسلامي، الطبعة الأولى ، دار العزة والكرامة للكتاب ،2015.

(4) عمر سعد الله، القانون الدولي الإنساني والاحتلال الفرنسي للجزائر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،2007.

(5) شارلز هنري تشرشل ، حياة الأمير عبد القادر ، ترجمة أبو القاسم سعد الله ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2009.

ثانيا : الملتقيات الدولية :

(1) أحمد بشارة موسى، احترام جبهة التحرير الوطني للقانون الدولي الإنساني أثناء حرب التحرير الوطني، الملتقى الدولي الخامس حول حرب التحرير الجزائرية والقانون الدولي الإنساني ، المنعقد يومي 10/09/نوفمبر2010، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، الجزائر.

(2) بيتر ماورر، رئيس اللجنة الدولية للصليب الأحمر، مداخلة بعنوان: الأمير عبد القادر الجزائري أول الداعين لتقنين القانون الدولي الإنساني، الملتقى الدولي حول "الأمير عبد القادر والقانون الدولي الإنساني" المنعقد يومي 28- 2013/05/30، الجزائر.

(3) زهور بوطالب،الأمينة العامة لمؤسسة الأمير عبد القادر،مداخلة بعنوان: الأمير عبد القادر "رائد" في مجال تقنين قواعد القانون الدولي الإنساني، الملتقى الدولي حول "الأمير عبد القادر والقانون الدولي الإنساني" المنعقد يومي 28- 2013/05/30، الجزائر.

ثالثا : الندوات الوطنية :

(1) زهور بوطالب، ندوة بعنوان: الأمير عبد القادر أول مؤسس للقانون الدولي الإنساني،2015/01/07، الجزائر.

(2) محمد قيراط، مداخلة في ندوة بعنوان: الأمير عبد القادر والتسامح والتعايش السلمي،2015/07/11، الجزائر.

رابعا : المجلات

(1) حسينة حاميد، الأمير عبد القادر منشد الحوار بين الديانات ، الدور الريادي في بلاد الشام، مجلة حوليات جامعة الجزائر، مجلد 18، العدد01.

(2) نور الدين بودربالة ، عابد سلطانة ، عائلة الأمير عبد القادر في مراسلات القنصل دوما ، مجلة متون ، مجلد 09 العدد 02.
(3) عبد القادر شرشار، شخصية الأمير عبد القادر من منظور الأخر (ترجمة كتاب عبد القادر لقوستاف دوقا أنموذجا)، مجلة إنسانيان، عددان 19-20- جانفي – جوان 2003.
(4) صادق دهاش ، الوحدة الوطنية السياسية والعسكرية لدولة الأمير عبد القادر الجزائري، مجلة البحوث والدراسات العلمية ، مجلد 06 ، عدد02.

رابعا : المراجع باللغة بالفرنسية :

(1) Azan Paul , L'Émir Abd el Kader 1808 - 1883. Du Fanatisme Musulman au Patriotisme Francais ,Edité par Paris, Hachette. (1925)